

٢ - وإشارة إلى أنها كانت في قطع من ليلها دون تمامه، حيث القطعة مشار إليها بالتنكير ﴿إَيْلًا﴾ كما الوحدة، فاستغراق الليل يقتضي «الليل» لا «ليلاً».

٣ - إفادة للتعظيم حيث كانت ليلة العروج وكانت الاثنيين وما أدراك ما الاثنان؟ إنه ﷺ ولد يوم الاثنيين وبعث الاثنيين، وعرج به الاثنيين وخرج من مكة مهاجراً الاثنيين ودخل المدينة الاثنيين، وارتحل إلى رحمة ربه الاثنيين، اثنيين ست تعم حياته، فسلام عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم عرج ويوم هاجر ويوم مات ويوم يبعث حياً، ثم وهو هو الثاني في الكون والكيان بعد الحضرة الإلهية، فالله هو الأول في مثلث الذات والأفعال والصفات، وأحمد هو الثاني، وأين أول من ثان بون بين الوجوب وأرقى الإمكان:

زاحمدتا أحد يك ميم فرقت همه عالم در آن يك ميم غرقت  
وما هو موقف الباء في «بعده» بعد أن «أسرى» متعد بالافعال؟

هل إنها المزيونة؟ ولا تعرف إلا في خبر ليس! أم لتأكيد التعدية أن أسرى عبده إنما هي منه تعالى تماماً لا ومن عبده؟ ولا يعهد هكذا تأكيد! وآياتها الاخرى في إسراء لوط بأهله وموسى بقومه لا يناسبها تأكيد! أم أن مفعولها الأول محذوف كالذي عرج به كسفينته الفضائية «البراق» والذي صاحبه كجبريل (١) إذا فما هو المفعول الأول في نظيرتها ﴿فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ...﴾ ﴿أَسْرٍ بَعْبَادِي...﴾ ولا يناسبها محذوف في لوط وموسى! أم إن أسرى وأسرى بمعنى وهما متلازمان (٢) مع الفرق أن أسرى لأول الليل وأسرى لآخره (٣) وقد كان أسرى الرسول في الثلث الأول من الليل؟ - احتمالات: آخرها أولها وأولها آخرها وبينهما متوسطات.

(١) كما عن ابن عطية.

(٢) كما عن أبي عبيدة.

(٣) وقال الليث: أسرى لأول الليل وأسرى لآخره.

ولماذا «بعده» دون «محمد» أو «رسوله - نبيه»؟ عله لأن «محمدًا» دون وصف العبودية أو الرسالة لا يحمل ما يتحمل هكذا معراج، ولا يذكر حين يذكر إلا للتعريف الاسمي بالرسول النبي .

ثم هذا العروج لم يكن رحلة رسالية، وإنما عبودية تتبني كما له في نفسه حيث ﴿دَنَا فُتَدَلَّكَ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . . . لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى . . . ﴿١﴾﴾ فالرحلة من الرب إلى الخلق رسالة، ومن الخلق إلى الرب تكملة العبودية في ذاته لتكميل الرسالة .

ثم العبودية تزيل حجب النور وحجب الظلمة والرسالة هي هي من حجب النور، وهو في مقام الدنو والتدلي يتخلى عن الحجب كلها ويتحلى بحلية العبودية في أعلى قممها ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (٢) دون نبيه أو رسوله، وحيًا سرّيًّا سرّيًّا يخصه دون سواه فسرى المعراج تقتضي سُرى العبودية .

ومن ثم ما أحلى صيغة «عبده» وصبغته وصياغته أن لو لم تكن هنالك رسالة، لم تكن هنا لأول العابدين صيغة أجدر من «عبده» . ثم لا نجد في القرآن «عبدنا» و«عبده» إلا لصاحب المعراج (٣) اللهم إلا لداود وأيوب وزكريا ونوح ولكنه في زكريا في ظل رحمة ربك: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا﴾ (٤) وفي داود تسلية لصبره: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِي﴾ (٥) وفي

(١) سورة النجم، الآيات: ٨-١٨ .

(٢) سورة النجم، الآية: ١٠ .

(٣) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١] ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتِ﴾ [الحديد: ٩] .

(٤) سورة مريم، الآية: ٢ .

(٥) سورة ص، الآية: ١٧ .

أيوب كذلك ذكرى لكي يصبر: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ...﴾ (١). وفي نوح تصبراً على طول المدة ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ (٢).

فليس إذا «عبده» إلا محمد ﷺ كأنه هو عبده لا سواه، لأنه جامع مجامع العبودية فهو ﴿أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ (٣) كما وأنه هو رسوله لا سواه، كما تلمح لها آياتهما وتأتي في طياتها.

ثم و«عبده» تقريراً في مقام الإسراء إلى الدرجات العلى، ولكي لا تنسى هذه الصفة في زهوة الرحلة الفضائية وزهرة المعراج، وليس لينساه الرسول ﷺ ثم ولا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية كما التبس في العقائد المسيحية.

وأخيراً «عبده» توحى بأن هذه السرى كانت بجزئيه: روحه وجسمه، دون تقسم فلم يقل بروح عبده أو بجسمه حتى يهرفه الهارفون ويخرفه الخارفون: إن المعراج كان روحياً، أو برزخياً في رؤياه أم ماذا؟

وإنما ﴿يَعْبُدُهُ﴾ فصاحب المعراج هنا «عبده» وفي النجم «صاحبكم» ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (٤) وفي التكوير هو رسول كريم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ (٥).

أترى بعد أن «صاحبكم» «عبده» «رسول» هي فقط روحه، وهو ما صاحبنا - فقط - بروحه، وما رسالته - فقط - في روحه، وما عبوديته - فقط - بروحه، إن هذه إلا هرطقة هراء والله منها براء - ف«سبحانه سبحانه سبحانه من قيلات هي ويلات على الحق المبين فأين - تذهبون» (٦) -

(١) سورة ص، الآية: ٤١. (٢) سورة القمر، الآية: ٩.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨١. (٤) سورة النجم، الآية: ٢.

(٥) سورة التكوير، الآيات: ١٩-٢٣.

(٦) وما في دعاء الندبة «وعرجت بروحه» غلط من الناقل والمنقول عنه والصحيح «وعرجت به» =

ولماذا «ليلاً» لا نهاراً، أم مزدوجاً، والنهار أبين للناظرين وأبعد إنكاراً للناكرين؟ عله لأن الليل هنا كان نهاراً هناك ولكي يرى من آيات ربه وضوح النهار، أم عله لأن الليل أهدأ وأوقع لسرى المعراج، وناشئته هي ﴿أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾<sup>(١)</sup> وأية ناشئة طوال حياته ﷺ أنشأ وأنشط من ناشئة المعراج فلتكن ليلاً، ولا يحول الليل ولا أليل منه ظلمة دون رؤيته آيات ربه الكبرى بما أراه الله.

والسرى المعراجية تتبنى عروج الرسول إلى أعلى الآفاق المعرفية، قبل أن تتبنى اعجازها، ولم يكن عروجه إلى عمق الفضاء بالسرعة ما فوق الضوئية أو عليها الجاذبية التي تفوق الزمان لم يكن بالذي يرى فيصدق بما يرى، اللهم إلا بما خبرهم بما رآه في سراه ما فوق الأرضية إلى القدس من غير أم ماذا<sup>(٢)</sup> فقد كان سرى الرسول سُرًى سَرِيًّا سَرِيًّا إلا فيما انبأ به ربه بما أنبأ والله أعلم بسراه.

= كما في نسخة ثانية جعلها المحدث القمي فرعاً، والفرع أصلاً. فأصله لا أصل له وفرعه هو الأصل! وقد يشبه أصله ما يروى عن عائشة «ما فقدت جسد رسول الله ولكن أسري بروحه» كما في الدر المثور عنها - فقد كذبت مرتين: إن الإسراء كان قبل أن يتزوجها بزمان فإنها قبل الهجرة بسنة وزواجها بعدها بزمان، وإن الإسراء كان من المسجد الحرام لا بيت عائشة أم أي بيت، ثم وأحاديثنا متظافرة بالمعراج الجسماني والروحاني معاً دون تبعض (راجع ج ٢٦ - ٢٣ - الفرقان ص ٤١٤ - ٤١٥) وقد وافق عائشته زميلها معاوية في نكران المعراج الجسماني ومعاوية كان يومئذ كافراً.

(١) سورة المزمل، الآية: ٦.

(٢) في روضة الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أسري برسول الله ﷺ أصبح فقعد فحدثهم بذلك فقالوا له: صف لنا بيت المقدس، قال: فوصف لهم وإنما دخله ليلاً فاشتبه عليه النعت فأثاه جبرئيل فقال: انظر ها هنا فنظر إلى البيت فوصفه وهو ينظر إليه ثم نعت ما كان من غير لهم فيما بينهم وبين الشام ثم قال: هذه غير بني فلان يقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورك أو أحمر، قال: وبعثت قريش رجلاً على فرس ليردها، قال: وبلغ مع طلوع الشمس، قال قرظة بن عبد عمرو: يا لهفأ أن لا أكون لك جذعاً حين تزعم أنك أتيت بيت المقدس ورجعت من ليلتك» (نور الثقلين ٣: ١٠٢).

ثم ﴿لَيْلًا﴾ توحى بوحدرة المعراج اللهم إلا أن يهرف بتكراره في نفس الليلة ولم يخلد بخلد قط، فالروايات الناقلة لتكراره تؤول أو تطرح<sup>(١)</sup> وروحه القدسية كانت عارضة دوماً إلى مقام قاب قوسين أو أدنى اللهم إلا فيما تضطره رسالته ببلاغه وخلطه بالمرسل إليهم، حيث الرسالة - على قدسيته - من حجب النور، وعله ﷺ كان يغان على قلبه ويستغفر ربه في كل يوم سبعين مرة من حجب النور.

﴿...مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ عَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

منطلق المعراج مسجد هو أفضل المساجد في الأرض أم في الكون كله وقد جاء ذكره في الذكر الحكيم (١٥) مرة بكل تبجيل وتجليل ثم المسجد الأقصى وهو أقصى المساجد إلى المسجد الحرام نجده مرة واحدة هي هاهنا بمواصفة واحدة: ﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

ومهما اختلفت الروايات أن مبدأ المعراج بيت عائشة<sup>(٢)</sup> أم بيت أم هاني<sup>(٣)</sup> أم المسجد الحرام<sup>(٤)</sup> فنص القرآن يؤيد ثالث ثلاثة فلا محيد عنه.

(١) كما أورده القمي عن محمد بن الحسن الصفار بإسناده عن أبي عبد الله ﷺ قال: «عرج بالنبي مائة وعشرين مرة...».

أقول: وعليها إلا واحدة عروج روجي له ﷺ وقد كانت حياته بهذا المعنى معارج. وفي الكافي بإسناده إلى علي بن أبي حمزة قال: سألت أبو بصير أبا عبد الله ﷺ فقال وأنا حاضر: جعلت فداك كم عرج برسول الله ﷺ؟ فقال: مرتين (تفسير البرهان ٣: ٤٠٢) أقول: علّ المرتين هما كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤)﴾ [النجم: ١٣-١٤] «حيث الرؤية المعراجية كانت مرتين لا أصل المعراج!

(٢) كما نصت روايتها عن الدر المنثور «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ ولكن أسري بروحه» كذبة مزدوجة!

(٣) ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، وأخرجه الحاكم والبيهقي عنه ورواه النسائي باختصار من رواية عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس.

(٤) تفسير القمي بإسناد عن أبي مالك الأزدي عن إسماعيل الجعفي قال كنت في المسجد =

وأما منتهى سرى المعراج هنا، فهل هو المسجد الأقصى الذي في القدس؟ وهناك مسجد الكوفة أقصى منه وعله أفضل! وبركات الله في المسجد الحرام أقدم من القدس وأكمل! وعرض المعراج في هذه الآية الخاصة نصاً والحاصرة تقتضي التصريح بنهاية المعراج وغايته: السدرة المنتهى في الأفق الأعلى، دون متوسطه الأرضي فحسب، الأقصى الذي في القدس! ثم ما هي ﴿ءَايِنُنَّا﴾ في القدس التي لم يرها الرسول ﷺ في البيت الحرام؟ هل هي قبور الرسل الإسرائيليين؟

وليست من آيات الله، وإنما الرسل هم آيات الله وقد أراهم الله إياه إذ أخذ ميثاقهم ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ...﴾ (١) وأراه إياهم إذ أمران يسألهم: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٢) ثم الآيات التي أريها هي آيات ربه الكبرى في عمق الفضاء ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى... لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (٣) فهذه الرؤية كانت في الأقصى التي في السماء عند السدرة لا التي في الأرض (٤).

= قاعداً وأبو جعفر عليه السلام في ناحية فرجع رأسه فنظر إلى السماء مرة وإلى الكعبة مرة ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى...﴾ [الإسراء: ١] وكرر ذلك ثلاث مرات ثم التفت إلي فقال: أي شيء يقولون أهل العراق في هذه الآية يا عراقي! قلت: يقولون أسري به من المسجد الحرام إلى البيت المقدس فقال: ليس كما يقولون، ولكنه أسري به من هذه إلى هذه وأشار بيده إلى السماء وقال: ما بينهما حرم (نور الثقلين ٣: ٩٨) ومن حديث مالك بن صعصعة مطولاً: إن المسجد الحرام مبدأ المعراج متفق عليه. أقول: قد يعني هذه الأرض - وطبعاً من المسجد الحرام - وإلى هذه: عمق المعراج عند سدرة المنتهى - وما بينهما حرم: ما بين المسجد الحرام والأقصى الذي في السماء حرم - أو ما بين الأقصى في الأرض والأقصى في السماء حرم أم ماذا؟.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٣) سورة النجم، الآيات: ١٤-١٨.

(٤) وفيه أيضاً عن سالم الحنات عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال: المسجد الحرام ومسجد الرسول عليه السلام قلت: والمسجد الأقصى جعلت فداك، =

فلقد نرى أن المسجد الأقصى، أقصى المساجد في مطلق الكون من المسجد الحرام، ومنتهى المعراج عند السدرة المنتهى، إذ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (١) ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (٢) بعدما ﴿دَنَا فَذَلَّكَ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٩) ﴿٣﴾ دنواً واقترباً من العلي الأعلى! هذا هو المسجد الأقصى الذي بورك حوله بركات معنوية معرفية.

وأخرى سواها أمثالها، فمن الأولى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ (٤) ومن الأخرى جنة المأوى وما ينحو نحوها من آيات ربه الكبرى.

ف «الأفق المبين - الأفق الأعلى - سدرة المنتهى - جنة المأوى» في التكوير وفي النجم - والبيت المعمور (٥) في «الطور» علّها كلها تعابير عدة

= فقال: ذلك في السماء أسري إليه رسول الله ﷺ فقلت: إن الناس يقولون: إنه بيت المقدس؟ فقال: مسجد الكوفة أفضل منه. ومما يدل على وجود مسجد الكوفة حينذاك ما رواه القمي في تفسيره بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام في حديث فضل مسجد الكوفة: «... حتى أن رسول الله ﷺ لما أسري به قال له جبرئيل: تدري أين أنت يا رسول الله ﷺ؟ أنت مقابل مسجد الكوفان قال: فاستأذن لي ربي حتى آتية فأصلي فيه ركعتين...» (المصدر ٣: ١٣٠)، وأورده ابن سعد وأبو يعلى والطبراني في حديث أم هانئ مطولاً (الكشاف ج ٢ ص ٥٠٥).

(١) سورة النجم، الآية: ١٠.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٨، ٩.

(٤) سورة النجم، الآيات: ١٣-١٥.

(٥) للبيت المعمور مصاديق أخرى كالكعبة المشرفة ويقابله المسجد الأقصى في السماء السابعة فهو أيضاً البيت المعمور كما في نور الثقلين ٥: ١٣٦ عن علي عليه السلام كما وهو منزل القرآن (٥: ٦٢٤) عن الصادق عليه السلام وفي الدر المنثور عن شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: البيت المعمور في السماء السابعة أقول: وأحاديث الفريقين مجمعة على أنه في السماء السابعة، فليكن هو المسجد الأقصى في السابعة، عمر قبل عروج النبي ثم زادت عمارة بعروجه، ثم ومن البيت المعمور بيت قلب الرسول ﷺ كما مضى عن علي عليه السلام فإنه أشرف منزل للقرآن (راجع ج ٢٧ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ من الفرقان).

عن منتهى المعراج: المسجد الأقصى، وقد يسمى الذي في القدس بالمسجد الأقصى لمحاذاته الأقصى الأولى، وقد زاره الرسول ﷺ في رحلته المعراجية<sup>(١)</sup> إذا فالمسجدان معنيان بـ ﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ فالذي في السماء أصل وغاية، والذي في الأرض ممر إليه وليس غاية.

وأية بركة عظمى وآية كبرى خير من الجنة المأوى. وما رآه في الأفق الأعلى من آيات ربه الكبرى!<sup>(٢)</sup> ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: رؤية للمكون بقلبه بما لا فراق له ورؤية لكائناته يبصره لمتسع مملكته.

(١) ثواب الأعمال عن علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال في وصية له: . . . إني لما بلغت بيت المقدس في معراجي إلى السماء . . . (نور الثقلين ٣: ١٢٢) ومن الملاحظ في الروايات التي تنقل مروره في معراجه بالقدس أنها كلها تقول بيت المقدس ولا مرة واحدة: المسجد الأقصى.

(٢) تفسير القمي في حديث المعراج من لفظ رسول الله ﷺ لعلي ﷺ . . . فكشط لي عن سبع سماوات حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها . . . وأما السادس لما أسري بي إلى السماء جمع الله لي النبيين فصليت لهم ومثالك خلفي «نور الثقلين ٣: ١٠٢» ومن الآيات التي أريها الرسول ﷺ عترته المعصومون واحداً بعد واحد كما في عيون أخبار الرضا ﷺ قال قال رسول الله ﷺ في حديث المعراج عن العترة . . . يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم أتاني جاهداً بولائتهم ما أسكنته جنتي ولا أظلمته تحت عرشي يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب! فقال ﷺ: ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن ابن علي والحجة بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري قلت: يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحل حلالي ويحرم حرامي وبه أنتقم من أعدائي وهو راحة لأوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين . . . (نور الثقلين ٣: ١١٩) وفي الدر المنثور (٤: ١٥٣) - أخرج ابن عدي وابن عساكر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: «لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي»!. ومنها النبيون والملائكة الذين صلوا وراءه في البيت المعمور: كما رواه القمي بإسناده إلى أبي جعفر ﷺ قال: كما أسري برسول الله ﷺ إلى السماء فبلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة فأذن جبرئيل وأقام فتقدم رسول الله ﷺ فصف الملائكة والنبيون خلف محمد ﷺ (المصدر ١٣٠).



وترى لماذا ﴿مَنْ ءَايِنُنَّا﴾ لا كلها لكي تستكمل الرؤية وتكمل الضيافة والإضافة؟... الجواب في النجم: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾<sup>(١)</sup> ف «من» تبعيض عن كل الآيات و«الكبرى» هي جل الآيات، فقد اصطفى الرب لمصطفاه كبرى الآيات ومصطفاهما، وكفته رؤية الكبرى عما سواها: كبرى الآيات كياناً كالنبيين والملائكة الكروبيين وكوناً كسائر الآيات العظيمة الكونية ومنها سائر خلق الله في سائر العوالم من سكان السماوات وعمارها<sup>(٢)</sup>.

أترى أن غاية المعراج فقط ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايِنُنَّا﴾ لا إثبات رسالته أيضاً كآية من آيات ربه؟ ومن ثم ف «من» تبعض هذه الرؤية، في حين أري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين.

إن الملكوت هي حقيقة المُلْك وماهية تعلق الكون بالله تعالى، وللملكوت درجات كما للملك درجات، وكما أن أهل المُلْك والملكوت درجات فلكل درجة تخصصه دون سواه، أو تعمه ومن معه في درجته، وصاحب المعراج أري الكبرى من درجات الملكوت: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ وإبراهيم وأضرابه ممن دون صاحب المعراج أري درجات أدنى منها، فإنه ﷺ: ﴿بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾<sup>(٣)</sup>: كل ما يمكن أن يبان، و﴿بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى﴾<sup>(٤)</sup>: أعلى الآفاق المعرفية أماهيه لحد ما لها من سباق.

ثم إن من الملكوت ما ترى إذ ينظر إليها، للناس كل الناس: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

- (١) سورة النجم، الآية: ١٨. (٢) مضى تحت الرقم ٢ ص ٧.  
 (٣) سورة التكوير، الآية: ٢٣. (٤) سورة النجم، الآية: ٧.  
 (٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥. (٦) سورة المؤمنون، الآية: ٨٨.

ومنها ما يختص بالمخلصين من عباد الله كإبراهيم: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلٌ... ﴿١﴾ إن أفول الأفلين دليل لا مرد له على الفقر المطلق للكون وحقيقة تعلقه بالله، إراءة ومعرفة على مدرجة إبراهيم الخليل ﷺ .

ومنها ما يخص صاحب المعراج حيث دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، إذ تخطى الكون بملكه وملكوته، بعدما اكتمل الرؤية والمعرفة فيهما وبهما، وأري من آيات ربه الكبرى بصرًا وبصيرة، ثم أراه ربه نفسه بأرفع درجات المعرفة الممكنة حيث دنا بالعلم<sup>(٢)</sup> وتدلى بالتجاهل عن نفسه «ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه»<sup>(٣)</sup> وكما قال ﷺ: «قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى»<sup>(٤)</sup> فلم يزل عن موضع ولم يتدل ببدن»<sup>(٥)</sup> «وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء: «تقدم يا محمد! فقد وطئت موطناً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل...»<sup>(٦)</sup> فأين ملكوت من ملكوت! وأين رؤية من رؤية وأين معرفة من معرفة! فلم يدن أحد ما دناه الرسول ﷺ ولا جبريل الذي صاحبه في شطر من سراه»<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٧٥، ٧٦.

(٢) الاحتجاج للطبرسي عن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي ﷺ قال: .

(٣) تفسير القمي بإسناده إلى الصادق ﷺ أول من سبق إلى بلى رسول الله ﷺ وذلك أنه أقرب الخلق إلى الله.

(٤) تفسير روح البيان ج ٩: ٣١٩ قال رسول الله ﷺ: وفي الدر المنثور (٤: ١٥٨): أخرج الخطيب عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي إلى السماء قربني ربي تعالى حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى لا بل أدنى...».

(٥) الاحتجاج للطبرسي في آية التذلي عن موسى بن جعفر ﷺ .

(٦) تفسير القمي عن الصادق ﷺ .

(٧) في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا ﷺ عن آبائه عن علي ﷺ عن النبي ﷺ في حديث طويل يقول في آخره: =